رد على (حول كتابين تراثيين)

بقلم
عبدالله الجبوري
أمين مكتبة الاوقاف العامة ـ بغداد

من المبهج جدا ان تنهض في قطرنا الحبيب نهضة علمية مباركة تمتد في كل (المجالات) وتنبسط في شتى المناحي الفكرية. وبخاصة ما يتصل بنشر (التراث) العربي الخالد .. ومما يشد من أزرها حرص القومة على امور الفكر والثقافة في حكومة الثورة . ثم مما يزيد من مباهج الامل في النفوس ، انشغال جمهرة من شبابنا الناهض في امور هذا الجانب الفكري .. كل حسب طاقته وعلى قدر بضاعته .. !

ومن هذا القبيل ما رايته في كلمة الاستاذ الناقد في نقده لكتاب : (التذكرة السعدية في الاشعار العربية) الذي نهضت باعباء نشره في سنة ١٩٧١ ـ ١٩٧٢م(١) .

وكم كنت اتمنى ان يعلم (الناقد) ان النقد تقويم وبناء ، وليس هدما .. واني أحاول هنا رد ما جاء في الكلمة المذكورة .. خدمة للبحث والتراث ..

* * *

(١) المقدمة ، اشار الناقد الى اني نقلت من مقدمة (الحماسة البصرية) نقلا يتطابق مادة ويختلف اسلوبا .. مما أوقعني في كثير من الاغلاط التي وقع فيها محقق الحماسة البصرية . ونظرة عابرة تسرح في مقدمتي للتذكرة ومقدمة الحماسة البصرية تلطم هذا الافتراء بالحجة الدامغة .. واني اتساءل : اذا ذكر سابق أمورا تعد من البديهيات .. ثم تناولها لاحق .. أيكون هذا العمل نقلا .. أو (سرقة) كما يخيل الي من ثنايا (عبارة) الناقد .. كان يذكر تسلسل وفيات الاعيان حسب القدم .. أو وضع اثار في فن من الفنون حسب عصورها ..

(٢) قلت عن (جمهرة اشعار العرب) للقرشي : « .. والذي يتضح من زمن تاليفها .. ان مؤلفها كان متاخرا عن زمن صاحب الصحاح في اللغة .. » .. ثم أشرت الى هامش الجزء الاول من (تاريخ الادب العربي) لبروكلمان .. وقلت : الحاشية للمرحوم الدكتور النجار ..

ثم قال الناقد ، ان الحاشية لبروكلمان .. وقال ان في كلامي هذا (وهمين) ... الخ ..

ثم اردف قوله :ـ ان صاحب هذا الرأي .. هو الدكتور مصطفى جـواد ..

فاني كنت أمينا في الاشارة الى رأي بروكلمان ونصه على (ظن) الدكتور جواد .. في حاشيته .. ولم أعزه الى أحد ..؟!

(٣) عقب على ذكر نسخ (منتهى الطلب) .. وقال : لعل المحقق واهم حين ذكر من مخطوطات الكتاب .. نسخة في (أمريكا) ... ولم اكن واهما في ذكري لهذه النسخة (المكتشفة) في أمريكا .. وعلى الناقد ان يتثبت من خبرها . وهو ممن هو دراية في مجاهل التراث العربي ...

ومنها مصورة عند احد افاضل الباحثين (من العراقيين المغتربين) .. ثم منها فصلة مصورة أيضا عند باحثين فاضلين من أهل بغداد .. فاين الوهم في هذا ؟

واني اثبت هنا انموذجا منها ، وفيه تظهر نصوص شعرية للراعي النميري وشيء من ترجمته ..

ثم ذكر في صفحة/٣١٦ الفقرة (٤) .. حول نسبة (الكورايي) وكتابه : (صفوة الادب) ..

واني احمد الله واشكر الناقد لو كان هذا التصحيح له ، ولا ادري كيف استهواه التبجح بما ليس يملك ، لانني اعرف ان التصحيح المذكور هو لابن سوده ، صاحب (دليل مؤرخ المغرب الاقصى) ٢/٤٢٣ الذي أفاده من باحث مغربي اخر .. ونحن اشرنا الى الكتاب نقلا عن الفهارس .. وهو كتب دراسة عن الكتاب ثم نقل ابن سوده منه ..

وفي الفقرة (٦) حول حماسة الشاطبي .. حاول ان (يتعالم) ولكنه تخبط بلا هدى .

والذي يعرفه (التراثيون) ، ان منهج صاحب الايضاح ، كان ممثلا في وصف الاثار التي ذكرها في (ايضاحه) .. والتي رآها او سمع بها .. وكان يشير احيانا الى هذا المنهج في كثير من مواد كتابه .. وحتى المطبوع منها .. وعند ذكره لحماسة الشاطبي ، قال : ج ١ ص/٤٢١ « الحماسة لابي عامر محمد بن يحيى .. المتوفى سنة ٥٤٧ سبع وأربعين وخمسمائة .. » فقط .. ولم يشر الى انه افاد هذا من فلان أو فلان ـ كما طلع الناقد بمقولته بعد ان الهمه البغدادي ما قال ونظائر هذا الحكم كثير ، بثه الناقد في كلامه الغامز .. وهو حكم مبتور لا يقوم على دليل ولا تنهض له حجة .. فاني ذكرت كتبا ، وأشرت الى انها مفقودة ولا يعرفها أحد .. وهنا أزيد قولي توكيدا .. وحجتي عدم ذكرها في (فهارس) المخطوطات ودفاتر الكتب .. واني ـ اقول ـ بتواضع : حرثت فهارس دور الكتب في العالم ـ المخطوطات العربية ـ طبعا .. وبحثت في المكتبات الخاصة ، والتي لم تصدر لها (فهارس) في بعض بلدان الشرق .. كتركيا ، وايران .. فلم أجد لها ذكرا .. وعسى ان يطلع الناقد على الدنيا بما ينفع ويفيد .. فيذيع خبر وجودها .. أمثال : حماسة العسكري

---

(١) وذلك في مجلة المورد (العدد الثاني المجلد الثالث ١٩٧٤ ، ص ٣١٦) .

وابن فارس ، والشاطبي ، .. ونحوها .. فهل اكون مبالغا اذا صرحت بعدم وجودها اليوم .. وهل يعاضدني الصواب اذا قطعت – جازما – بخفائها .. ؟! وحجتي ما ذكرت قبل قليل .. بقي شيء ، اقول : ان من حفظ حجة على من لم يحفظ .. كما تقول هذه المقولة .. فما حجة (الناقد) في نقض ما ذهبت اليه ...؟!!

هذه جملة من الامور التي جعلها الناقد (مآخذ) في عملي .. وبخاصة المقدمة ..

وبعدها وجدت الناقد يخترع عنوانات شاء ان يفجر مضمونها عدوانا ، وما اظنه ينفع احدا في هذا السلوك رغم انه راح يفسر ويشرح .. وينقل من مدونات لغوية واصول ادبية .. ومادته التي زعم انها اخطاء وقعت في ضبط نص الكتاب .. واني اصرح – هنا – قبل تفنيد ما زعم .. ان (التذكرة السعدية) وقعت ضحية (التطبيعات) وراحت فريسة سهلة لطيش المطبعة .. ومما زاد هذا البلاء (طريقة) ناشرها في العمل الطباعي .. مما دفعني الى رفضها وهي قيد التجربة المطبوعة .. وبقيت أشهرا تحن الى البعث والنشور .. ولولا (الحاح) الناشر في امضاء عملية الطبع دفعا للضرر الذي يلحقه .. لما جعلتها تظهر بما هي عليه الان .. ومنها الضبط (الحرفي) وتقويم النص .. حيث تراكبت الحروف على غير هدى .. وفي نهاية الطبع اصطدت جمهرة من هذا التطبيعات ، والحقتها في ورقتين ، الاولى هي الصفحة / ٦٠٤ ، والثانية ملحقة بالكتاب .... ولو رجع اليهما الناقد لما أتعب نفسه في الرجوع الى كتب اللغة والادب .. (لتصويب) اخطاء .. هي موجودة في هاتين الورقتين .. كما فعل في (المرباع والصفايا) ..

وللحقيقة .. اقول للاستاذ الناقد ان فهارس الكتاب .. وضعها الاستاذ أبو جلال ضياء الدين .. بتكليف من أخيه ناشر الكتاب السيد شمس الدين الحيدري .. دفعا للتاخير الذي استغرق سنة كاملة ونصف السنة .. بعد أن رسخت على رفض الكتاب جملة وتفصيلا .

وهذه (الاخطاء) الطباعية .. جعل منها المعيد (قميص عثمان) في مواجهة الجهد الصادق الذي بذلته في نشر الكتاب ، واني لعلى ثقة بان احصاء الخطأ المطبعي لا يعد كشفا علميا ولا يسبغ على صاحبه ما يروم من طماح عبقري ومن المستحيل ان يخلو كتاب عربي من أخطاء طباعية .. ولو ملك مؤلفه او المشرف على (طبعه) ما للهدهد من بصر حديد !

و (هوامش المحقق) عنوان جديد ، اتخمه الناقد بـ « مآخـــذات » (كذا !) وهـذا هو تارة يشير الى بيت خلا منه ديوان صنع – اخيرا – او حقق .. بقوله : « وهذا البيت اخل به الديوان الفلاني . » مثلا . كما صنع في بيت وجده في كتاب ابي عمر الزاهد (يوم وليلة) .. وهو مفقود اليوم .. وربما هو مخطوط .. لان بروكلمان يذكره نقلا من خزانة البغدادي ، ج٢ ص ٢١٩ .. ولم يشر الناقد الى حقيقة هذا الكتاب .. جريا على عادته وأنا احسب الناقد أبعد أهل القلم عن الاحاطة بمعنى التدليس حين ذكر اني دلست في عدم الاشارة في هامش الصفحة ٣٩٩ س ٢–١ في ذكر بيت .. قال : « .. وترك البيت دون الاشارة في الهامش – كذا – تدليس . » ..

تف ... [illegible] مباح ، فالتدليس كما تعرفه كتب الحديث الشريف .. هو [illegible] يسقط المدلس شيخه ، او يسقط من بعده رجلا ضعيفا .. لاخفاء عيب .. (انظر : مقدمة ابن الصلاح ، والخلاصة للطيبي وغيرهما من كتب الاصول الحديثية) .. وانا شهد الله لم اقارف في نشاطي التراثي خداعا ولا تمويها ولا تضليلا .. وحسبي ان اكون من عشاق الشاهد القاطع !!

ولا اريد لجاجة في الرد ولكن أرد على جملة من نقداته ردا سريعا .. وهنا اشير الى رقم صفحة (المورد) والفقرة المذكورة فيها ..

١ – ص /٣١٩ ، (٢)

« ان رأي ابن سلام الجمحي في الشك بنسبة قصيدة السموأل .. لم يكن في طبقاته » .. ولم أقل هذا .. انما قلت : « وقد نبه اكثر رواة الشعر وعلماء الادب .. ومنهم : ابن سلام .. » . فأقول : ان كتب الادب بعامة تضم اراء لاعلام اللغة والادب مبثوثة ، وهناك آراء لطائفة كبيرة منهم لم تضمها اثارهم .. انما وصلت الينا بوساطة كتب غيرهم .. ومنهم : ابن سلام واغاني ابي الفرج الاصفهاني وبروكلمان (١/ ١٢٢ – ١٢٣ ، الطبعة العربية) .. وهامش الصفحة/٤٧ من (التذكرة) .. وكتاب البدوي الملثم عن (إبراهيم طوقان) المذكور في هامش (التذكرة) وشرح المضنون ص/٣٧ ، ومعاهد التنصيص ٣٨٢/١ ، والقالي ٢٦٩/١ .

وان اشار اليه في دحض ما ذهبت اليه ..

(٢) ص/٣١٩ (٢) ترجمة : قراد بن عباد ..

اقول : كتب التاريخ موفورة .. وعلى الناقد ان يرجع اليها ليعرف من هو : محمد بن سليمان ... وهاك طائفة منها : تاريخ بغداد ٢٩١/٥ ، والكامل لابن الاثير والنجوم الزاهرة ، وتاريخ الذهبي ، وشذرات الذهب ، (حوادث سنة/١٧٣هـ)

(٣) ص/٣١٩ (٤) .. ترجمة دريد بن الصمة .. قال الناقد : « مما يشعر ان محقق (التذكرة) ينقل عن مصادره – كذا – دون تمحيص .. » .. ا هـ .

وما ادرى الناقد ان ذاك الذي اشعره بما اطلقه على العواهن انما كان اثما ان لم يكن ظنا ؟ وهذا ما لا يباح في معاملة الصابرين على خدمة التراث العربي !.

(٤) ص/٣١٩ : (٥) و (٦) و (٧) ..

الاشارة الى كتاب طبع في اربعة اجزاء ، وضم فيه محققه أو صانعه جزءا من اثار مؤلفه .. سليمة جدا .. ولكن الصواب على اية حال ، قد يكون هدفا للتجريح .

(٥) ص/٣١٨ (١٠) قال الناقد اني ذكرت في هامش الصفحة/٢٥٩ من (التذكرة) في ترجمة الباخرزي : يتيمة الدهر ومجمل الامر اني ذكرت مراجع ترجمة الباخرزي .. فنبتت لفظة : (واليتيمة) يتيمة بلا عقب من ذكر جزء او صفحة .. سهوا طباعيا .. ودليل اقحامها في مراجع الترجمة انها كانت مجردة يتيمة من ذكر الجزء والصفحة .. علما باني ذكرت سنة وفاة الباخرزي سنة/٤٦٧ هـ والثعالبي متوفى سنة ٤٢٨ هـ .. فكيف أحيل الى مرجع متقدم لترجمة متاخر ؟!!

(٥) ص/٣٢٠ (١٤) .. ترجمة معن بن اوس .. قلت : (.. ومن المعاصرين كمال مصطفى .. له كتاب (معن بن اوس) مطبوع في القاهرة ..) .

قال الناقد : « وكمال مصطفى .. لم يؤلف كتابا عن معن .. وانما نشر ديوانه عن الطبعة الاوربية ... وهذا الوهم نقله المحقق عن الاعلام .. » أهكذا يكون النقد العلمي ؟ نعم

ومليون نعم .. ان كمال مصطفى نشر (شعر معن بن أوس) .. ولكن لمن الكتاب الذي يحمل اسم : « معن بن أوس . » القاهرة (بدون تاريخ) ، تأليف : كمال مصطفى ..؟!

(٦) ص/٣١٩ (٤) ، ترجمة : دريد بن الصمة .. اقول سائلا الناقد هل الصواب (عن عينيـه) او (على عينيـه) ومع ذلك فلا اسوغ لنفسي ان ارميه بما (يشعر !) انه يجهل العربية .

(٧) ٣١٩ (٦) .. أقول : ألا يعني (القتل) او الموت ، نهاية عمر الانسان ..؟! هذا من جهة ، ومن جهة .. فليدلني الناقد عن كتب المؤرخين القدامى والمحدثين (كذا) .. حتى يصدر هذا الحكـم ..

(٨) ص/٣١٩ (٨) ترجمة مالك بـــن الريب .. قال : (والترجمة منقولة عن اعلام الزركلي ،.. وكيف يهجو الحجاج ، ومالك توفي كما يذكر المحقق ـ سنة ٦٠ هـ ـ أي قبل ولايـة الحجاج العراق ـ كذا ـ بثمانية عشر عاما ..) .

اجمل ردي في نقطتين هما :

أ ـ اعتمدت كتات (الشعر والشعراء) لابن قتيبة في كون مالك هجا الحجاج .. ولم يكن الزركلي صاحب هذا الرأي ..

قال ابن قتيبة في الشعر والشعراء (ص/٢٧٠ ط/دار الثقافة ـ بيروت) : « وقال يهجو الحجاج :

فان تنصفوا يا آل مـــروان نقتـرب
اليكـــم ، والا فاذنوا ببعـاد »..

وابن قتيبة توفي سنة/٢٧٦ هـ . ثم روى هذا الخبر ابو العباس المبرد (ت ـ ٢٨٦ هـ) في الكامل (ج٢ ص ١٠٤ ط ابي الفضل ابراهيم والسيد شحاته) .. قال المبرد : « .. وممن هرب منه ـ اي الحجاج ـ مالك بن الريب المازني .. » ثم ساق ابياتا من القصيدة .. فهل يكون الناقد الحجة اوثق رواية من : ابن قتيبة والمبرد .. ثم ان الزركلي نقل عن هذين العلمين .. وبعد فهل يكون هذا الراي للزركلي أم لابن قتيبة والمبرد ..؟!.. وان كنت على خطأ في هذا الخبر في اعتمادي هذين النصين ، ثم ظهرت دراسة الدكتور نوري القيسي لمالك .. ومنها كشف عن حقيقة امره بالبحث العلمي الرصين .. فهل أعد مقصرا او واهما فيما ذهبت اليه ..؟! .

(٩) ص ٣٢٠ (١٠) قال الناقد : (والزركلي لم يعتمـد بروكلمان ، فمن مصادره الخزانة ٢٥٠/٤ ...) ..

وللقارىء أسوق الحقيقة : ان الزركلي اعتمد بروكلمان في اعلامه (٣٠/٦) واليه انقل هامش الصفحة المذكورة ، ليقف على مبلغ المغالطة عند الناقد .. قال الزركلي في هامش ترجمة القحيف بن حمير العقيلي : « .. (١) خزانة الادب ٥٠/٤ ، والجمحي ٤٧٩ و ٥٨٣ و ٥٩٢ ـ ٥٩٩ و Brock. S. 1:99 » ا هـ

(١٠) ص ٣٢٠(١١) قال الناقد معقبا على قولي في ترجمة أنس بن مدرك : « وكيف يكون جاهليا وقد ذكر ابن حجر فـي الاصابة ٨٥/١ انه قتل مع علي ... » اهـ ..

أقول : ليرجع الناقد مرة اخرى الى الاغاني (ج ٢٠ ص ٣٥٦ ـ ٣٥٨) والى الشعر والشعراء (ص ٢٨١ ـ ٢٨٥ ، ط دار الثقافة) .. فعندهما الخبر اليقين .. وهما أقدم من ابن حجر كما يعلم .. وابن حجر توفي سنة ٨٥٢ هـ .. فهل يفضل رواية المتاخر على المتقدم ، مع جلالة قدر ابن حجر ..

(١١) ص ٣٢٠ (١٥) .. قال (خرج بيتي القطعة (٧٩) ، قال (يعني العبد الفقير) : (والبيتان من قصيدة له في : القالي ١١٧/١ ...) ثم قال : (والبيتان غير موجودين فـي القصيدة التي أشار اليها في هذه المصادر .. عدا ياقوت ..) .

اني أردت بهذا الهامش في ص ٣٣٠ من (التذكرة) .. ان البيتين (ليحيى بن طالب) من قصيدة ، وهذه القصـيدة موجودة في المصادر التي ذكرت .. ولم اقل ان البيتين فيها .. لانني عقبت على قولي بما هذا نصه : « .. وهما ـ البيتان ـ في السمطو (٢) البيت الثاني في الاغاني .. » ..

(١٢) ص ٣٢٠ (١٦) .. ترجمة القاضي التنوخي .. قـال الناقد : (.. والذي ترجم له المحقق هو والده) .. نعــم اني ترجمت لوالده ولم أصرح بنسبة النص الى واحد منهما . انما ترجمت للتنوخي (الوالد) .. وعلى الناقـد ان يثبت ان المقصود به هو المحسن بن علي .. بنسبة النص الوارد فـي (التذكرة) اليه ..

(١٣) ص ٣٢١ (٨) حول بيتين لبكر بن النطاح ، قـــال الناقد : « .. وقد نسبهما المحقق في الهامش لابي الشيص في شعره ٩٤ . والبيتان مشهوران تقاسم نسبتهما شعراء عديدون فقد نسبا لبكر بن النطاح ... » .

والذي قلته في هامش الصفحة ٤٤٩ من (التذكرة) ما هذا نصه : « والبيتان نسبا لابي الشيص الخزاعي ، وهما في شعره صفحة ٩٤ ، وانظر تخريجهما هناك ، وزد عليه تحفـة العروس ، الورقة ٦٧ .. » ا هـ ..

وعلى القارىء ان يرجع الى هامش الصفحة ٩٤ مـن (اشعار ابي الشيص) ليقع على الحقيقة التي حاول طمسها الناقد بهذه المغالطة .

(١٤) ص ٣٢١ (٩) بيتا القطعة (١٦٩) .. قال المعيبد : « ينسبان للخريمي في ديوانه ٦٧ ، وينسب البيت الاول منهمـا لابي الشيص الخزاعي في اشعاره ٢٢ .. »

اقول : هذا هو التدليس بعينه ، وكان على الناقد ان يشير الى سنة نشره لديوان الخريمي ، وهي ١٩٧١ ـ ١٩٧٢ م وقد اشرت في هامش (أشعار ابي الشيص) ص ٢٢ الـى تخريجهما ، وقد سقطت الاشارة اليها من هامش (التذكرة).

(١٥) ص ٣٢٠ (١) البيتان من (٣ ـ ٤) من القطعة (٦٠) ينسبان الى عمرو بن معد يكرب الزبيدي في ديوانه ..٢٠ ..

اقول : هذه لجاجة لا طائل وراءها .. اذ اني اشرت الى ديوان مطبوع ثبتت نسبة الشعر فيه الى صاحبه .. ولم اجد وازعا الى عد مصادر تخريجها .. اذ ليس ذلك من منهجـي وشرطي ..

واني لاربأ بنفسي ان أرد .. ما ذكره الناقد .. في الصفحة ٣١٩ ، الفقرات : (٦ ، ٧ ، ٨ ..) لشيوعه .

(٥) ص ٣٢٠ (١٢) .. صحيح ، كان علي ان اشير الى ان البيتين هما في ديوان عدي بن زيد العبادي ، باختلاف الرواية .. لاني وجدتهما يختلفان في الروايتين ، مما قوى قولي فـي نفيهما من الديوان ..

ويزعم الناقد ، اني لم التزم بما رسمته لنفسي في مقدمة التذكرة .. وهذا محض (وهم) ودعوى زائفة .. وردي عليـه

هو الرجوع الى المقدمة (صفحة ٢٢ – ٢٣) .. ولست بحاجة الى اعادة نشرها هنا ..

واخيرا ، اقول : ان (التذكرة) من الاثار النافعة جدا ، في مجال (التراث العربي) .. وما أصاب الجزء الاول منها من تطبيعات .. لا يقدح في (شموخها) .. لان من اقل نفعها ، انها ضمت حماستين مفقودتين : حماسة ابن فارس ، وحماسة ابي هلال العسكري .. فضلا عن جمهرة كبيرة من النصوص المفقودة او التي وردت الينا بروايات اخرى .. وهي بحق – خاتمة الحماسات وكان عملي في نشرها تعبيرا عن هيامي بالتراث العربي الخالد .. وهذا مبلغ جهدي وعلى قدر بضاعتي وذلك حسبي .

وبقي شيء أخير .. اشار اليه الناقد ص ٣٢١ (٤) .. حول ورود بعض ابيات (التذكرة) ناقصة .. وسبب ذلك :

انني كنت قد اشرت في الفقرة الرابعة من المقدمة ص ٢٢ (في اخرها) العبارة التالية : « .. وقد ندت في ثنايا التذكرة أبيات طمست حروفها اما من الاصل ، واما من جراء سوء (التصوير) .. وقد حاولت تبيان معالمها بوساطة الاصول الاخرى ، وان لم افلح ، فقد وضعت مكانها نقطا هكذا .... اعرابا مني عن عدم تمكني من قراءتها او لطمسها .. » . وقد سقطت هذه العبارة من الطبع .. واني احتفظ بأصول المقدمة .. وهي (ممضاة) من قبل (الرقابة) وعليها أثر (الطباعة) .

وشيء اخر ، تخذ منه الناقد ذريعة للنقد .. وهو : اتهامي بنقل معلوماتي من مقدمة (الحماسة البصرية) .. فقد ابنت عن ذلك في مطالع هذا الرد .. وكذلك اتهامي باعتمادي (الاعلام) في ذكر بعض التراجم .. فقد أوضحت زيفه دعواه .. وأريد هنا ان اشير الى مقدمتي للتذكرة ، ص ٢٣ ، حيث ذكرت في الفقرة الخامسة ، من جملة ما ذكرت من شروط لعملي ، قولي « .. مفيدا من الكتب التي استأنست بها ، من تعليقات وهوامش ... ليكون عملي قريبا من المنهج العلمي القويم .. » .. اهـ

هذا ما اردت بيانه من رد على كلمة الزميل الاستاذ محمد جبار المعيبد ، راجيا له ولي ان يسدد خطانا في خدمة الحرف العربي .